دينية في دولة ديمقراطية · مع أنه من الواجب أن يتم اعتراف متبادل بين الطرفين » (٢٨) ·

أما اندريه فونتين ، أحد محرري صحيفة اللوموند ، فهو يغرق محاكمته في بحر من « الانسانية » ، « فموقف فرنسا من اسرائيل يمهد الى أوشفيتس جديدة ، ذلك أن اليهود ، وبسبب اضطهادهم في التاريخ ، أصبحوا لا يثقون بأحد ، كما أن ما يطالبون به في سياستهم الراهنة انما هو نتيجة لسوء ظن مشروع وضروري »(٢٩) اذن فالتوسع والعدوان الاسرائيلي امران مشروعان في رأي فونتين ، اذ أن هذا العدوان يعود فقط الى سوء الظن الذي يزامل اليهودي بسبب تجربته التاريخية · ان الماضي اليهودي يشفع دائما للحاضر ·

ان كل هذا الحوار بشكليه المتناقضين انما عبر عن حقيقة واحدة ، هو تحول المقاومة الفلسطينية الى حركة متصاعدة توصل صوتها الى كل أركان العالم · فاللاجيء الذي كان كيانا خاما بلا حراك تحول الى فدائي مقاتل يسمع صوته من كل المنابر الثورية في العالم · « فالمقاومة المناهضة لاسرائيل ستخلق حربا لا نهاية لها بين الفلسطينيين واسرائيل »(٣٠)و « ندوة اليسار الايطالي تستقبل وفد فتح بحفاوة كبيرة ، حيث طرح مندوب فتح شعار منظمته من أجل دولة ديمقراطية »(٣١) « وموسكو ستستقبل عرفات كرئيس دولة »(٣٢) ·

وهكذا اختفت صورة الارهابي لتحل محلها صورة ايجابية ، الا أن هذا التغيير في منطق الصحافة لم يكن نتيجة لقناعة ، بل فرض نفسه فرضا ، أي أصبح لها ظاهرة لا مفر منها ·

من النزعة الانسانية الى عنصرية بلا قناع

أخذت حوادث الاردن في ايلول طابعا مميزا ، فمقابل المجازر الدموية والتقتيل الذي لحق بالفلسطينيين ، وقفت معظم الصحافة الفرنسية موقفا انسانيا ، أي أنها لم تنظر الى الامر من ناحيته السياسية بل من ناحية انسانية أخلاقية · وقد وقفت صحيفة الاومانيته الناطقة باسم الحزب الشيوعي الى جانب الشعب الفلسطيني ، فتكلمت عن الاسس التاريخية للمأساة الفلسطينية ، كما وصفت جيش الاردن بـ « القطعان الوحشية » ، وأثنت على الدور الطليعي الذي يمثله نضال الشعب الفلسطيني « ضد حكم اقطاعي ملكي »(٣٣)· ولم تر صحيفة الاومانيته في هذا النزاع الدموي نزاعا بين أخوة وأشقاء ، وانما بين الثورة والثورة المضادة · كما حاولت صحيفة اللوموند أن تقوم بتغطية موضوعية للاحداث ، بل أن المنطق الداخلي لكثير من المقالات والافتتاحيات كان يقف الى جانب الشعب الفلسطيني : « الفدائيون يقاومون ببسالة في العاصمة »(٣٤) « ان الحوادث الجارية لا ينظر اليها كمشكلة انسانية ـ مشكلة لاجئين ـ بل هي مشكلة سياسية ، وكل حل للنزاع في الشرق الاوسط لا ينظر اليها بعين الاعتبار سيكون خاطئا » (٣٥)كما أفسحت اللوموند صفحات طويلة للتحدث عن الطرق الوحشية التي تميز بها الجيش الاردني في ضربه للفلسطينيين(٣٦) ·

أما الصحافة الصهيونية السافرة فقد كانت تشير الى الاسباب التي أدت الى هذا النزاع الدموي ، بل حاولت أن تجعل من قضية خطف الطائرات السبب الاساسي في هذا النزاع(٣٧)· أما الصورة التي أعطيت فتدور حول « الفرق الحضاري بين ملك الاردن والمقاومة الفلسطينية » · فخطف الطائرات وترك ركابها يعانون من الحر والبرد يشكل « انتهاكا للحضارة » · لذلك فان ضرب الشعب الفلسطيني في الاردن أمر مبرر لان باطنه يتضمن الدفاع عن الحضارة ·